الجملة الشرطية بين الخبر والانشاء في شعر محمد رضا الشبيبي مثالًا

زهراء عقيل عبد زيد
مديرية تربية محافظة النجف الأشرف
fadhilhadi2013@gmail.com

أ . م . د فضيلــة عبــد العبــاس الأســـدي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات ـ قسم اللغة العربية
fadheela.alabbas@uokufa.edu.iq

The conditional sentence between the news and the creation in the poetry of Muhammad Reda Al-Shabibi, for example

Zahraa Aqeel Abd Zaid
Directorate of Education of Najaf Governorate

Assis. Prof. Dr. Fadila Abdel Abbas Al-Asadi
University of Kufa - College of Education for Girls - Department of Arabic Language

الملخّص:

الجملة الشرطية هي أحد أنواع الجملة العربية على رأي بعض العلماء, وقد اختلف العلماء في وظيفتها بحسب السياق والقرائن المتوافرة فتؤدي الخبر احيانًا وتؤدي وظيفة الانشاء في احيان أُخرى وتهدف هذه الدراسة البحث عن الابعاد الوظيفية للجملة الشرطية في شعر محمد رضا الشبيبي, ويعد الشبيبي شاعرًا متمكنًا ويمتلك امكانية لغوية عالية لذلك فقد تفنن في جملهِ واستطاع ان يخبر عن الأشياء التي حدثت في عصره عن طريق الجملة الشرطية, كما استطاع أن يوجه أوامر ونواهي ويجعل الجملة الشرطية تؤدي وظائف الجمل الانشائية.

الكلمات المفتاحية: الجملة, الشرط, الخبر, الانشاء, المعنى, الشبيبي.

Abstract:

The conditional sentence is one of the types of the Arabic sentence according to the opinion of some scholars, and the scholars differed in its function according to the context and the evidence available, so it performs the predicate sometimes and performs the function of construction at other times. High linguistic potential, so he mastered his sentences and was able to tell about the things that happened in his era through the conditional sentence, as he was able to direct orders and prohibitions and make the conditional sentence perform the functions of constructive sentences.

Keywords: sentence, condition, predicate, construction, the meaning, Al-Shabibi.

المقدمة

احتلت الجملة الشرطية مكانة مهمة عند القدماء, وقد اختلفوا في استقلالها واصبحت محل خلاف بين العلماء, فمنهم من جعلها جملة مستقلة ومنهم من عدها جملة خبرية والآخر انشائية, وكما اصبحت محل خلاف في تكوينها, فرأى بعض العلماء أنهما تكوين من جملتين منفصلتين ومنهم من عدها جملة واحدة وبهذا الخلاف بين العلماء أعطى الجملة الشرطية صفة المرونة في تكوينها, فتارة نراها تميل إلى الخبر وتارة تميل إلى الانشاء معتمدين على مقصد المتكلم وما يروم إليه من أفكاره, فتارة نجده يخبرنا بجملة شرطية وأخرى نجده يأمرنا أو ينهانا أو يمدحنا أو يتعجب بتلك الجملة التي لم يرسَ العلماء على شاطئ يحكم تركيبها ويقيد قواعدها.

وقد ابتدأ البحث بالجملة الشرطية في مبناها السطحي خبرية في معناها العميق, ثم الجمل الشرطية في مبناها السطحي إنشائية في معناها العميق مبتدأ من الأمر والنهي ثم التعجب والمدح.

الجملة الشرطية

احتلت الجملة الشرطية مكانة مهمة في شعر الشبيبي, إذ لا تكاد تمر قصيدة إلا وللجملة الشرطية فيها حضور, وتنوعت دلالاتها بين الشرط الصريح, والإنشاء, والخبر, ولأن البحث يعنى بخروج البنى السطحية الى معانٍ أخرى, وسنقف في هذا الفصل على خروج الجملة الشرطية الى دلالتي الخبر والإنشاء, وقد كشف البحث عن ورود هاتين الدلالتين في تسعة وسبعين بيتا, مع تنوع في ادوات الشرط وأساليب وأنماط الجمل الشرطية في ديوانه, فكانت الأداة الأكثر حضورا وتواردا في ديوان الشبيبي هي (إذا, ولو).

وكان لابد لنا من الوقوف على مفهوم الجملة الشرطية وأدوات الشرط و المسائل الخلافية بين العلماء فيه, فالشرط في معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ((هو تعليق شيء بشيء, بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني, وهو أسلوب لغوي له مكوناته واركانه وهي الاداة وفعلان, والثاني منهما يترتب على حصول الأول أو هو جواب وجزاء له))[١], وردت اشارة لتعريف الشرط عند المبرد في كتابه المقتضب اذ قال((وقوع الشيء لوقوع غيره))[٢] إلا انه لم يعد معرّفا باركان الشرط وبطبيعة تركيبه وإنما اشار الى معنى الشرط فحسب.

وقد تباينت آراء العلماء حول الجملة الشرطية هل هي جملة واحدة أم أكثر لأنها تحمل الشرط والجزاء فهي ذات طبيعة مغايرة للجملة العربية, ((وبين النحاة العرب القدامى والمحدثين غير أن القدامى استخدموا القياس للتخلص من مأزق المغايرة, وذلك في أن الشرط نظير للمبتدأ والجواب نظير للخبر كما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر, وكذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء))[٣]. فاختلفوا في ذلك فمنهم من حسب الجملة الشرطية جملة واحد وشابهها بجملة المبتدأ الذي يقابل الشرط والخبر الذي يقابل الجزاء فعدّها جملة واحدة لا يمكن انفصالها, كما أوضح ذلك ابن جني فقال: ((إن بعض الجمل قد تحتاج الى جملة ثانية احتياج المفرد الى المفرد, وذلك في الشرط وجزاءه والقسم وجوابه فالشرط نحو قولك: إن قام زيد قام عمر, والقسم نحو قولك: أُقسم ليقومن زيد. فحاجة الجملة الأولى الى جملة ثانية كحاجة الجزء الأول من الجملة الى الجزء الثاني نحو زيد أخوك وقام أبوك))[٤], كما أشار الطبرسي في تفسيره الى الجملة الشرطية بعدّها جزء واحد فشابه الشرط وجزاءه بالمبتدأ والخبر فقال: ((الشرط وجوابه بمنزلة المبتدأ والخبر فكما أن المبتدأ لا يتم إلا بخبره فكذلك الشرط لا يتم إلا بجزائه...))[٥].

ومنهم من جعلها جملتين منفصلتين على الرغم من ادراكهم بوحدة الجملة, فقال ابن سراج :((والجزاء وجوابه جملتان تنفصل كل واحدة منهما عن صاحبتها))[٦] في حين نجده في موضوع آخر يبين أن الجملة الشرطية جملة واحدة [٧].

فضلا على بعض الدراسات الحديثة التي عدّت الجملة الشرطية متكونة من جملتين وهي جملة الشرط والجزاء يحكمها نظام جملة واحدة فتكون هذه الجملة متكونه من جزأين أي ضمن الجمل المركبة [٨].

نلحظ أن الجملة الشرطية لها سماتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من الجمل مما جعلها جملة مستقلة على الرغم من اقرار القدامى بتركيبها من جملتين ولكن لا يمكن استغناء الجملة الأولى عن الثانية فهي متممة لمعناها ولا يمكن انفصال بعضها عن بعض.

ومما تتميز به الجملة الشرطية الإبهام والعموم[٩], قال ابن السراج: ((والمجازاة ليست بشيء مخصوص وانما هي للعامة)) [١٠].

وتباينت آراء بعض المحدثين عن انتماء الجملة الشرطية الى أسلوب الخبر أم الانشاء؟ فمنهم من بين اذا كان جواب الجملة الشرطية خبري فتنتمي الى أسلوب الخبر, واذا كان جوابها انشائيًا فتنتمي الى أسلوب الانشاء, وبهذا يكون جواب الشرط حاكما في إنشائية أو خبرية الجملة الشرطية [١١] وبعض الباحثين يرى أن الجملة الشرطية جملة انشائية[١٢], أما الدكتور تمام حسان فقد جعلها مستقلة عن الخبرية والإنشائية[١٣].

أدوات الشرط:[١٤]

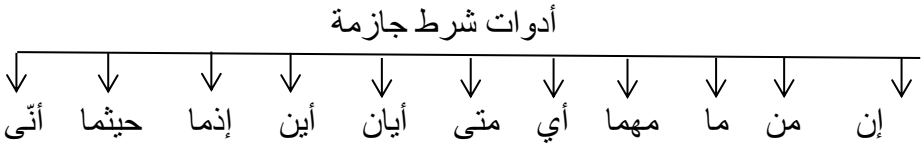

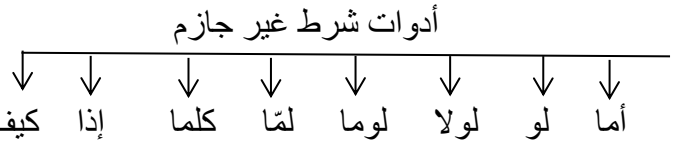

وعند دراستنا الجملة الشرطية في شعر الشبيبي نجد بناها العميقة تميل نحو الخبر تارة, وتميل نحو الإنشاء تارة أخرى, ونستعرض أهم الجمل الشرطية في مبناها الخارجي الخبرية في معناها العميق في شعر الشبيبي, ومنه قوله[١٥]:

إذا قُلْتُ إنَّ الشِّعْرَ بَحْرٌ غَبَنْتُهُ مَتى يَسْتَقيمُ البَحْرُ مِنْ غَيْرِ ساحِلِ؟

المبنى (البنية السطحية) :

البيت من قصيدة بعنوان (الشعر بين الحق والباطل), ابتدأ الشاعر البيت بجملة شرطية من أداة الشرط (إذا) وفعلها الماضي (قلت), وجاء مقول القول جملة اسمية من إنّ واسمها (الشعر) وخبرها المرفوع (بحر) لا محل لها من الاعراب, وجواب الشرط (غبنته) فعل ماض مع فاعله ضمير متصل والمفعول (الهاء), ورمز الشاعر الى الفاعل والمفعول بالضمائر المتصلة اختصارا؛ لأن الفاعل يعود على المخاطب والمفعول يعود على الشعر فلا داع لذكرها, ثم جاء اسم الاستفهام (متى)

الدال على الزمان, وتجدر الإشارة الى أن في البيت تشبيه بليغ, في قوله (الشعر بحر) شبه الشعر بالبحر في السعة, للدلالة على أن الشعر يتسع للمعاني كما يتسع البحر للمياه.

اما المعنى (البنية العميقة) :

في البنية السطحية يظهر أن الشاعر يصور لنا أن تشبيه الشعر بالبحر سيكون ظلما له, ولكن بناء البيت كله لا يكتفي بهذه الصورة, إذ أعقب الشاعر الجملة الشرطية بجملة استفهامية انكارية, والاستفهام الانكاري لا يراد منه الانشاء, وإنما يراد منه الإخبار, فضلا عن أن جملة الاستفهام تضمنت نفي الفكرة التي قام عليها الشرط, فرفضت تشبيه الشعر بالبحر؛ لأن البحر وإن كان واسعا ولكنه في النهاية معلومة حدوده وهي السواحل ومن غير السواحل لا يوجد البحر, وفي المقابل فإن حدود الشعر غير معلومة ولا يمكن إدراك حدوده جميعها.

ومن جانب آخر لا يعقل أن يكون الشرط مقصودا لنفسه ويأتي الشاعر بجملة الاستفهام الإنكاري وما تتضمنه من نفي, فهو يستلزم الرد على الشاعر نفسه, ولو كان منشئ الشرط غير الشاعر لكان ذلك مقبولا, والحال غير ذلك, لنخلص الى أن الشاعر لم يرد معنى الشرط, وإنما أراد الإخبار, وتحديدا النفي, أي أنه لا يرتضي أن يشبه الشعر بالبحر, ويكون الشطر الثاني من البيت استدلالا وبرهانا على ذلك, وكأنه يقول: (لا تقل إنّ الشعر كالبحر ففي ذلك غبنٌ له؛ لأن البحر له ساحل, والشعر لا ساحل له), فكانت الجملة شرطية المبنى خبرية المعنى.

وقال الشاعر[١٦]**:**

إذا رَغِبْنا بِما يَحْلو لَنا زَهِدوا وإنْ زَهِدْنا بِما يَحْلو لَهمْ رَغِبوا

المبنى (البنية السطحية):

البيت من قصيدة عنوانها (همّ عليّ ثقيل هذه الكتب), بدأه الشاعر بجملة شرطية في صدره وأخرى في عجزه, وذلك بأداتين مختلفتين الأولى (إذا) التي قال عنها سيبويه: ((وأما إذا فلما يستقبل من الدهر, وفيها مجازاة))[١٧] وعلل الزمخشري ذلك بقوله: ((لما فيها من مجازاة تقلب الماضي إلى المستقبل))[١٨], وأما الأداة الثانية فهي (إن) تدخل على المشكوك, قال السيوطي: ((فإنها تكون للمحتمل والمشكوك فيه والمستحيل ...., ولا تدخل على متيقن ولا راجح))[١٩].

اتصل فعل الشرط الماضي في كلا الجملتين بفاعله وهو ضمير المتصل (نا) في (رغبنا) و (زهدنا) للدلالة على الجمع فقد أشرك الشاعر نفسه مع أبناء وطنهِ الذي عبر عنهم في البيت السابق ب (مشارق الأرض) فقال[٢٠]:

مغاربُ الأرضِ لا تَهْوى مَشارقَها هَيْهات نَدْنوا -نَعَمْ- هَيْهات نَقْتَربُ

وفيه يصور الشاعر الخلاف الحاصل بين الغرب الذي عبر عنهم (مغارب الأرض) وبين أبناء قومهِ الذين عبر عنهم (بالمشارق), فضلاً عن ذلك فإن فعل الشرط في كلا الشرطين جاء معلقا بجملة متممة لمعناه وهي صلة الموصول (بما يحلو), والباء المتصلة في جملتي الشرط للتعدية؛ لأن الفعل (يحلو) يصل الى مفعوله بحرف الجر, والتكرار الحاصل في الجمل الشرطية ما هو إلا لإقرار ذلك الشرط في نفس المتلقي, فقد قيل إن الكلام إذا تكرر قرَّ[٢١]. كما أن أثر الفعل المضارع

(يحلو) في كلا الشرطين يدل على استمرار الحدث الى المستقبل أي كل ما يحلو لأبناء أُمتهِ ويحبونه فهو غير مرغوب به عند الغرب.

أما المعنى (البنية العميقة):

يقف الشاعر في هذا البيت على أمر في غاية الأهمية, إلا وهو الخلاف الفكري بين الغرب والشرق, والذي ما زال قائما حتى وقتنا الحاضر, وقد وظف الشاعر لهذا الأمر مقابلة لفظية لطيفة, فقد قابل بين (رغب) و(زهد) مرة, ثم خالف ذلك فقابل بين (زهد) و(رغب).

وتكشف هذه المقابلة عن عمق الخلاف الفكري بين الشرق والغرب, وما هي إلا رمز وإشارة الى ما يعانيه الشرق من الغرب, فالأمر لا يقتصر على المخالفة في الاختيار, لكان الأمر هينا, ولكن الغرب يفرض على الشرق اختياراته, والتاريخ نقل لنا كيف أن الشرق اذا اختار السلام فإن الغرب يختار الحرب, كما أن التدخل في شؤون الشرق ما لا غبار عليه.

ومجيء هذا المعنى بصيغة الشرط وجوابه لا يعني عدم حصوله, فهو حاصل ونعيشه, ولكن الشاعر اختار الجملة الشرطية لما فيها من لفت للانتباه, وبهذا يظهر أن البيت جاء شرطيا في مبناه الظاهري خبريا في معناه الباطني .

الجملة الشرطية في البناء انشائية في المعنى

تؤدي الجملة الشرطية أحيانًا وظائف غير الإخبار, فتؤدي ما تؤديه الجملة الإنشائية سواء كانت طلبية أو غير طلبية وهذا ما نجده في شعر الشبيبي كما في قوله[٢٢]:

أَحَبُّ إلى الدَّيّانِ مِنْ عِلْمِ عالِمٍ ـ إذا هو لَمْ يَنْفَعْ بِهِ- جَهْلُ جاهِلِ
إذا لَمْ يَزِدْكَ العِلْمُ تَقْوى وَعِفَّةً فَمِنْ قِلَّةِ التَّحْصيلِ حِفْظُ المَسائِلِ

البيتان من قصيدة طويلة بعنوان (الشعر بين الحق والباطل), بدأ الشاعر البيت الأول بجملة اسمية وهي جواب الشرط المتقدم على الاداة, والاصل في تركيب الجملة الشرطية هي (الاداة, وفعل الشرط, ثم جوابه) وقد تحصل في بعض الاحيان مخالفة هذه التراكيب عن مواضعها, فيتقدم جواب الشرط على الاسم وقد أوضح تمام حسان أن رتبة الشرط مع الاداة تعد من الرتب المحفوظة فاذا اختلت اختل التركيب[٢٣], بخلاف جواب الشرط فيجوز له التقدم على الأداة.

وتقديم جواب الشرط محل خلاف بين النحويين, إذ ذهب أغلب البصريين إلى منعه, وأجازه الكوفيون[٢٤], ولذا قال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٢٥] أنّ ((في الكلام تقديم وتأخير؛ أي لولا أن رأى برهان ربه هم بها. قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير؛ كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها))[٢٦].

أمّا الشطر الثاني فجاء الشرط جملة اسمية من (اذا) داخلة على الضمير (هو) وذلك لغرض التأكيد وهذا الضمير يعود على متقدم وهو (علم عالم), وجاء فعل الشرط فعل مضارع (ينفع) تقدمته أداة الجزم (لم) وغرضها نفي الفعل فتحول الدلالة الزمنية للفعل المضارع من الحاضر الى الماضي المنقطع, وفاعله ضمير مستتر حذف ايجازا لتقدمه, فضلا عن ان ضمير الشأن الملتصق بحرف الجر (به) الذي يعود على (العلم) أعطى دلالة التأكيد بأن الانسان اذا لم ينتفع بعلمه فلا خير فيه, وقد

أخر المتكلم خبر (أحبّ) وهو (جهل) لمقصد بلاغي غرضه الاهتمام بالمتقدم والعناية به, فذكر (العلم) أولا ثم بعد ذلك جاء (بالجهل) ثم أضافه الى (جاهل) وذلك للاختصاص؛ لأن الجهل خاص (بالجاهل).

أمّا البيت الثاني فقد ابتدأه الشاعر بالجملة الشرطية أيضا, وهي متكونة من أداة الشرط (اذا) الداخلة على فعل الشرط المضارع المسبوق بـ(لم) (لم يزدك) ففعل حدوثه, وقد تقدم المفعول الأول (وهو كاف المخاطب) في الفعل (يزدك) على الفاعل (العلم) وذلك لغرض التخصيص, فالزيادة مختصه بك وقد تعدى الفعل يزدك الى مفعول به ثان وهو (تقوى) عُطفت عليه (عفة), وجاء جواب الشرط جملة اسمية اقترنت بـ(فاء الجزاء) (فمن قلة التحصيل), وقد اختلف النحويون في نوع هذه الفاء أهي عاطفة أم لا فقال الأخفش موضحا: ((والفاء اذا كانت جواب المجازاة, كان ما بعدها ابدأ مبتدأ, وتلك فاء الابتداء لا فاء العطف))[٢٧].

أمّا ابن السراج فبين أن الفاء الواقعة في جواب الشرط ماهي إلا رابطة ما بعدها بما قبلها[٢٨], كما أطلق عليها ابن الخشاب (بفاء التعقيب)؛ لأن الجزاء يعقب الشرط[٢٩].

وجاء بعد فاء الجزاء جملة اسمية تقدم خبرها (فمن قلة) على المبتدأ (حفظ المسائل) وذلك لغرض الاهتمام بالمتقدم, ثم أضاف كل من (قلة) الى (التحصيل) و(حفظ) الى (المسائل) وذلك لغرض التخصيص والوضوح .

أما المعنى (البنية العميقة) :

إذا أمعنا النظر في الأبيات السابقة وبحثنا عن مقصد المتكلم نجد أن الجملة الشرطية شكلت جسرا تواصليا للوصول الى بناها العميقة فهو لم يرد أن يوضح أن العلم لابد له أن يقترن بالتقوى فلا خير فيه اذا لم يكن كذلك, فالعلم ليس بتحصيل المسائل وحفظها فقط بل أن الانسان السوي الذي يسخر علمه لخدمة الآخرين ليستفيدوا منه مع تحليه بالتقوى والخوف من الله تعالى, وهذه المعاني المتعارف عليها واضحة كوضوح الشمس ولكن المتكلم بث هذه المعاني ليوضح معان أخرى وهو ما يسمى (بمعنى المعنى) الذي أشار إليه الجرجاني, بواسطة الجملة الشرطية فهو يريد الترغيب في أمر ما والدعوة اليه, فلم يأمر بصورة مباشرة على فعل هذا الامر بل هو من باب التأدب فهو يدعو إلى الانتفاع بالعلم؛ لأنه يزيد من تقوى الانسان وايمانه, وخوفه من الله, فضلًا عن دعوى أصحاب الشأن وكل انسان ورع أن ينفع الآخرين بعلمه والقضاء على الجهل الذي يزيد القلوب ظلاما .

فمبدأ التأدب الذي عمل به الشاعر ما هو إلا انعكاس لأخلاقه الفاضلة حتى جاء في كثير من قصائده التي تدعو الى شيء او تأمر بشيء من دون التصريح بذلك به, فهو يعتمد على فهم المتلقي وإبداعه في الرسالة التي يريد إيصالها اليه .

وما نلحظه أن تكرار أداة الشرط (اذا) الواردة في البيتين ما هو إلا توكيد حقيقة ثابته لا يعتريها الشك, اذا لم يصاحب العلم عفة وتقوى الله فلا خير فيه, وقد اعطى الشاعر قرينة نستدل بها على معرفة نوع هذا العلم, وذلك عبر لفظة (الديّان) على وزن (فعّال) وهي صيغة مبالغة ومعناه كثير الدين والتدين.

أمّا القرينة الثانية التي اعتمدت عليها (اذا لم ينفع به) فالنفع شرط لقبول العلم والانسان السوي شديد الديانة هو الذي ينفع الاخرين بعلمه, فضلا عن القرينة الثالثة (التقوى) التي تعود على الديّان

من اوضح القرائن, فالتقوى ملازمة للإنسان المتدين, وبهذا نتوصل إلى أن الأبيات شرطية في مبناها الخارجي, انشائية (أمرية) في معناها العميق, فهو يدعو ويأمر باكتساب العلوم التي تنفع الناس وتوصل المتعلم الى التقوى والعفة, وإلا فالجهل أولى من غير ذلك.

وقال الشاعر[٣٠]:

يُقَيِّضُ اللهُ رِزْقًا غَيْرَ مُحْتَسِبٍ إذا مَضَى عَمَلٌ في اللهِ مُحْتَسَبُ

المبنى (البنية السطحية) :

البيت من قصيدة بعنوان (هم عليّ ثقيل هذه الكتب), ابتدأ الشاعر البيت بالجملة الفعلية فعلها مضارع (يقيض) والفاعل لفظ الجلال (الله) وهو جواب شرط, متقدم على الاداة وذلك للاهتمام بجزاء الله للعبد برزق غير متوقع لا يعلم من أين له ذلك .

ويبين أن الرزق من الله الى العبد مستمر في الزمن الحاضر والمستقبل بدلالة الفعل المضارع (يقيض) الذي يدل على الحال والاستقبال, فضلا عن أن صيغة (يفعّل) تدل على التكثير والمبالغة, وقد وصف ذلك الرزق بأنه (غير محتسب) أي غير معدود للدلالة على الكثرة الوفيرة.

أما الشطر الثاني من البيت فقد بدأه الشاعر بجملة شرطية بأداة الشرط (إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط غير جازمة مع الفعل الماضي (مضى) وفاعله (عمل) والجار والمجرور (في الله) متعلق بـ(مضى), و (محتسب) صفة لـ(عمل).

ووردت لفظة (محتسب) في الشطرين, ولكنها أعطت في كل شطر معنى يوافق السياق, ففي الأول كانت بمعنى (معدود) إذ إنه من الحساب, والحساب عدّ الشيء[٣١], وفي الشطر الثاني كانت اللفظة بمعنى (مقبول عند الله)؛ لأن من معانيها طلب الأجر عند الله قالوا: ((واحْتَسَبَ بكَذَا أَجْراً عندَ اللَّهِ: اعْتَدَّهُ، يَنْوي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ))[٣٢], وهذا من المشترك اللفظي.

تدل البنية السطحية للبيت على أن كل عمل صالح يعمله الانسان لوجه الله تعالى سيكون جزاؤه الرزق الوفير من عنده سبحانه وتعالى .

أما المعنى (البنية العميقة) :

كان يمكن للشاعر أن يؤخر جواب الشرط على وفق الضوابط النحوية, ويكون تحققه متوقف على تحقق فعل الشرط, ولكنه قدم الجواب لغرض دلالي, إذ أراد أن يبين للمتلقي أن جزاء العمل الصالح متحقق لا محالة ولا مجال للشك فيه إذا ما تحقق الشرط, إذ لو أخر جواب الشرط قد يدب الشك في نفس المتلقي في تحقق الجواب, وهو ما أراد استبعاده.

إن انعام النظر في سياق البيت وسياق الأبيات السابقة واللاحقة يحيل المعنى الى الأمر, ومن القرائن التي تحيل عليه لفظة (الرزق) التي تدل على العطاء الدنيوي والأخروي[٣٣], وكذلك وصفها بـ(غير المحتسب) .

ويمكن عدّ البيت السابق له من القرائن أيضا, إذ ينتقد الشاعر الاستعجال في استحصال الأجور ويتساءل عن نسيان الأعمال التطوعية التي يقصد فيها القربة الى الله تعالى, إذ قال[٣٤]:

يَسْتَعْجِلونَ مِن الأَعْواضِ أَعْجَلَها أَيْنَ التَّطَوُّعُ في الأَعمالِ والقُرَبُ

وكذلك البيت اللاحق له يمكننا عدّه من القرائن أيضا, وهو قوله[٣٥]:

نَسْعى وَنَقْعُدُ وَالأَقْدارُ حاكِمَةٌ سِيّانِ فيها سُكونُ النَّفْسِ والطَّلَبُ

وواضح أن الشاعر ينتقد اللهاث وراء الدنيا ونسيان أن الرزق موزع من الله تعالى ولن يأخذ الانسان أكثر من رزقه مهما سعى, ويتلاءم البيت محل الدراسة مع ما ورد عن الامام علي عليه السلام بقوله: ((مَنْ أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطيّةِ)) [٣٦].

مما تقدم يظهر أن الشاعر قصد من الجملة الشرطية الأمر بالعمل الصالح قربة الى الله تعالى, وهذا المعنى استقاه الشاعر من القران الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [٣٧], فجاء البيت شرطيا في مبناه انشائيا (أمريا) في معناه.

وقال الشاعر[٣٨]:

لا تَمْلِكُ النَّفْسُ مِنْ حِرْصٍ كِفايَتَها وَلَو أَفاقَتْ كَفَاها الماءُ وَالعُشُبُ

المبنى (البنية السطحية) :

بدأ الشاعر البيت بفعل مضارع سبقته (لا) النافية غير العاملة التي دلت على نفي التملك عن الفاعل (النفس), وقد تقدم الجار والمجرور (من حرص), على المفعول به (كفايتها) وذلك لأهمية المتقدم وهو (الحرص), وفي الشطر الثاني جاء الشاعر بجملة شرطية متكونه من أداة شرط غير جازمة (لو), وهي حرف امتناع لامتناع مع فعل الشرط الماضي (أفاقت) حذف فاعلها إيجازا لتقدم ذكره (النفس), وجواب الشرط (كفاها) وهو فعل ماض, و(الهاء) مفعول به يعود على (النفس), و(الماء) فاعل, وتقدم المفعول على الفاعل للاهتمام, ثم عطف (العشب) على الفاعل (ماء).

أما المعنى (البنية العميقة) :

عرض الشاعر في الشطر الى طبع متجذر في الطبيعة الانسانية, وهو الحرص على الدنيا, فالإنسان بطبيعته حريص على جمع الأموال والمكاسب سعيا منه للوصول الى الكفاية, وهذا السعي يقترن بالبخل الذي عبر عنه الشاعر (من حرص) وقد عبر عن هذا المعنى الإمام علي بن موسى الرضا (ع) بقوله: ((لا يجتمع المال إلا بخصال خمس : ببخل شديد...))[٣٩], وفي الشطر الثاني استعمل الشاعر الفعل (أفاق)؛ ليبين أن النفس الانسانية في جمعها للأموال تعيش في حالة من الغفلة ولو أفاق الناس لوجدوا أن ما يكفيهم من الحياة شيئا يسيرا عبر عنه الشاعر (بالماء والعشب) وهي كناية عن البساطة في المأكل والمشرب, فلا بد للإنسان أن يكون قنوعا ويرضى بما لديه مثلما عبر عن ذلك المعنى الإمام علي (ع) فقال: ((القناعة مال لا ينفد))[٤٠].

والمتأمل جيدا يكتشف أن تأكيد الشاعر هذا المعنى في الشطر الثاني ينقل دلالة الجملة الشرطية الى دلالة الأمر, ومن ثم نقول: جاءت الجملة شرطية في شكلها الخارجي وإنشائية (أمرية) في مضمونها الداخلي أراد الأمر بالقناعة والترغيب بها .

وقال الشاعر[٤١]:

يَنْهَضُ الشَّعْبُ فَيَمْشي قُدُمًا لَوْ مَشى الدَّهْرُ إِلَيْهِ ما انْثَنى

المبنى (البنية الظاهرية) :

البيت من قصيدة بعنوان (باطل الحمد مكذوب الثنا), بدأ الشاعر البيت بجملة فعلية (ينهض الشعب) للدلالة على التجدد فيكون هذا النهوض مستمرا في الحاضر والمستقبل بدلالة الفعل المضارع

(ينهض), ثم أردفها بفعل مضارع ثان (يمشي) مسبوق بـ(فاء) التعليل اي نهض الشعب لأجل ان يمشي قدما.

أما الجملة الشرطية فقد جاءت في مقدمة الشطر الثاني بدأها بأداة شرط غير جازمة وهي (لو), مع الفعل الماضي (مشى) وهو فعل الشرط, والفاعل (الدهر) وجواب الشرط سبق بنفي بـ(ما) دخلت على الفعل الماضي فنفته, وفاعله ضمير مستتر يعود على الشعب حذف لتقدم ذكره.

أما المعنى (البنية العميقة) :

يأتي هذا البيت في أواخر القصيدة بعد أن انتقد الشاعر ظاهرة الاعتناء بالشكليات والألقاب الكبيرة من دون انجاز على أرض الواقع, في مقابل ترك المضامين العالية, موضحا أن هذا الطريق لن يصل بالأمة الى التقدم والنهوض الحقيقي, لذا خاطب الشباب في البيت السابق للبيت محل الدراسة, وطالبهم بتغيير واقعهم فقال[٤٢]:

أَيُّها الجيلُ اكْتَشِفْ لي حاضِرًا كلَّما خرَّبَ ماضيكَ بَنى

ثم بين لهم أن الشعب اذا أراد النهوض فلن يقف أمامه شيء أبدا, واختار لهذا المعنى لفظا مناسبا هو (الدهر) ليفيد الاطلاق, فضلا عن ملمح التشخيص في هذا اللفظ, إذ صوره كهيأة انسان ظالم يمشي ليمنع نهوض الشعوب ويضعف من ارادتها فالاستعارة التي جعلت للدهر أقدام تمشي عليها اثارت الرعب في نفس الانسان, ومن ضمنها الشعوب الناهضة, وأراد أن يقول مهما كان الرعب الذي يحدثه الدهر في نفوس تلك الشعوب فلا بد لها من مواجهته, فلا بد من نهضة الشعوب ولا بد لها من التقدم مهما كانت التحديات التي تريد ثنيها, فجاء البيت شرطيا في مبناه الخارجي انشائيا (امري) في معناه الباطني.

وقال الشاعر[٤٣]:

وَلَو تَأَمَّلِتِ الغَبْراءُ لاضْطَرَبَتْ مِنْ أنَّها لِرِكابِ الجَهْلِ مُضْطَرَبُ

المبنى (البنية السطحية):

البيت من قصيدة بعنوان (هم عليّ ثقيل هذه الكتب), وبدأه الشاعر بجملة شرطية من اداة الشرط (لو) مع فعل الشرط الماضي (تأملت) وفاعلها (الغبراء), وما نلحظه اكتفاء الشاعر بذكر الفاعل دون المفعول على الرغم من تعدي الفعل (تأمل) إلا إنه حذف المفعول لغرض العموم, وجواب الشرط الماضي (لاضطربت) الذي اقترن باللام وذلك ليؤكد اقتران جواب الشرط بالفعل أي امتناع جواب الشرط (الاضطراب) لامتناع فعل الشرط (التأمل) .

اما الشطر الثاني من البيت فقد بدأ بحرف الجر (من) التي جاءت بمعنى السببية, ثم (أن) مع اسمها الضمير المتصل (الهاء)؛ لأن المتلقي شاكٌّ في هذا الامر, بأن الأرض تضطرب لسير أهل الجهل عليها, وقد تقدم الجار والمجرور (لركاب الجهل) على خبر (إنّ) المرفوع (مضطرب) وذلك لغرض الاهتمام بالمتقدم .

يلمح تشخيص في اسناد الشاعر الفعل (تأمل) الى الأرض, فالتأمل من أفعال البشر, و((تَأَمَّلَ الشَّيْء: إذا حَدَّقَ نَحْوَه، وقِيل: تَدَبَّرَهُ وأعَاد النَّظَرَ فِيهِ، مَرَّةً بعدَ أخْرَى لِيتحقَّقَه))[٤٤], ان توظيف التشخيص الذي استعمله الشاعر في هذا البيت اعطى صورة موحية اذ جعل للأرض عقلا تتأمل

وتلتفت وهذا التأمل يزيدها غضبا ويؤدي الى اضطرابها واهتزازها؛ لأنها حاملة لأهل الجهل الذين شبههم بالقافلة التي تسير في الدلالة على كثرتهم.

اما المعنى (البينة العميقة) :

للشاعر شخصية دينية, إذ نشأ في كنف الحوزة العلمية في النجف الأشرف, ومن الطبيعي إنه قرأ الروايات التي تتكلم عن إدراك المخلوقات وتعقلها كلٌ بحسبه, فضلا عن تصريح القرآن الكريم بذلك, قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾[٤٥], ومن الروايات ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام, قال: ((إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة، وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها))[٤٦] وقد ذهب السيد الطباطبائي الى حمل هذه الروايات على نحو الحقيقة لا المجاز[٤٧], وعدم تحقق فعل الشرط (تأمل) الوارد في البيت يخالف مضمون القرآن الكريم والروايات.

يظهر من ذلك أن الشاعر لم يرد الشرط الحقيقي, وإنما أراد معنى آخر, ولعل أقرب المعاني لذلك هو (النهي) وكأنه يقول: أنهاكم عن الجهل لأنه قد يؤدي الى غضب الأرض عليكم واضطرابها, فجاء الشكل جملة شرطية ولم يكن شرطا حقيقيا, والمضمون جملة انشائية تنهى عن الجهل.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج كان من أهمها:

١- إن الابيات الشعرية التي تضمنت معنى الشرط قد يراد بها الاخبار تارة لجذب انتباه وشد الذهن إلى ذلك الخبر أو يراد بها الانشاء تارة أخرى, فالجملة الشرطية المتكونة من اداة الشرط وفعل الشرط وجوابه يراد بها مقاصد انسانية كالنهي عن شيء أو الأمر لشيء أو التعجب من شيء .

٢- كان اداتا الشرط (اذا ولو) الأكثر حضورًا من الأدوات الأخرى في هذه الأبيات.

٣- يعد أسلوب التشبيه من القرائن اللفظية المهمة في الكشف عن مقصد الجملة الشرطية والمعين على كشف معنيها العميقة, لذا استعان الشاعر بها في أبياتهِ.

الهوامش

١- معجم المصطلحات النحوية و الصرفية, محمد سمير نجيب اللوبدي:١١٤.
٢- المقتضب, المبرد :٤٦/٢.
٣- التراكيب اللغوية في العربية, هادي نهر :٢٠٤ .
٤- الخصائص, ابن جني:١٧٨/٣.
٥- تفسير مجمع البيان, الطبرسي:١٦٦/١.
٦- الأصول في النحو, ابن سراج:١٧٩/٢.
٧- نفسه:١٨٢/٢.
٨- ينظر: التراكيب اللغوية في العربية, هادي نهر :١٩٨.
٩- ينظر: الجملة الشرطية عند نحاة العرب, أبو أوس إبراهيم الشمسان: ٢١١ .
١٠- الأصول في النحو, ابن السراج : ١٦٦/٢ .
١١- ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي, عبد السلام هارون:٢٤.
١٢- ينظر: اللغة العربية معناها و مبناها, تمام حسان :٢٤٤.
١٣- ينظر: الخلاصة النحوية, تمام حسان: ١٣٧.
١٤- ينظر: شرح قطر الندى و بل الصدى, ابن هشام :٨٥, وينظر: معاني النحو, فاضل السامرائي:٨٣/٤
١٥- الديوان : ٦١ .
١٦- الديوان : ٦٦ .
١٧- الكتاب, سيبويه : ٢٣٢/٤,
١٨\3\5 الأحاجي النحوية, الزمخشري : ٧٧ .
١٩- همع الهوامع, السيوطي: ١٣٢/١.
٢٠- الديوان : ٦٦ .
٢١- ينظر: مدخل الى علم الجمال الادبي, عبد المنعم دليمه, دار الثقافة للطباعة والنشر, القاهرة, (د.ط), ١٩٧٨: ١٠٩ .
٢٢- الديوان : ٦٤ .
٢٣- اللغة العربية مبناها ومعناها, تمام حسان : ٢٠٧ .
٢٤- ينظر: همع الهوامع, السيوطي: ٤٦١-٤٦٢.
٢٥- سورة يوسف: ٢٤.
٢٦- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن الكريم, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١ هـ), تحقيق: هشام سمير البخاري, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية, د.ط, ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م: ٩/ ١٦٦.

٢٧- معاني القرآن, أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ), تح: هدى محمود قراعة, مكتبة الخانجي، القاهرة, ط ١, ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م: ٦٨/١ .
٢٨- ينظر: الأصول في النحو, ابن السراج: ١٨٢/٢ .
٢٩- ينظر: المرتجل, ابن الخشاب, تح: علي حيدر, دمشق, (د.ط),١٣٩٢هـ - ١٩٧٢: ٢١٧ .
٣٠- الديوان : ٦٨
٣١- ينظر: تاج العروس, الزبيدي, مادة (حسب): ٢/ ٢٦٨.
٣٢- ينظر: تاج العروس, الزبيدي, مادة (حسب): ٢/ ٢٧٨.
٣٣- ينظر: المفردات في غريب القرآن, الراغب الاصفهاني, مادة (رزق): ٣٥١.
٣٤- الديوان : ٦٧ .
٣٥- نفسه: ٦٨ .
٣٦- شرح نهج البلاغة, ابن أبي الحديد: ٣٣٧/١٨.
٣٧- سورة الطلاق: ٢-٣.
٣٨- الديوان : ٦٨ .
٣٩- كتاب الخصال, أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بأبويه القمي الصدوق (ت٣٨١ هـ), تحقيق: علي أكبر الغفاري, مؤسسة النشر الإسلامي – قم المقدسة, د.ط, د.ت: ١/ ٢٨٢.
٤٠- شرح نهج البلاغة, ابن أبي الحديد: ١٨/ ١٩٣.
٤١- الديوان : ١٠٦ .
٤٢- نفسه: ١٠٦ .
٤٣- الديوان : ٦٨ .
٤٤- تاج العروس, الزبيدي, مادة (أمل): ٢٨/ ٢٧.
٤٥- سورة الدخان: ٢٩.
٤٦- بحار الأنوار, أَبُوعَبْدِ الله مُحَمَّد بَاقِر بِن مُحَمَّد تَقِي بِن مَقْصُودْ عَلِي المَجْلِسِي الأَصْفَهَانِي (ت١١١١هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان, د.ط, ١٩٨٣: ٧٩/ ١٧٧.
٤٧- ينظر: الميزان في تفسير القرآن, السيد الطباطبائي: ١٨/ ١٤٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الأحاجي النحوية, أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ), مكتبة الغزالي, (د.ط), ١٩٦٩.

٢- الأساليب الانشائية في النحو العربي, عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي – القاهرة, ط٥, ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٣- الأساليب الانشائية في النحو العربي, عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي – القاهرة, ط٥, ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤- الأصول في النحو, بو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ), عبد الحسين الفتلي, مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت, ط٣, ١٩٨٨.

٥- بحار الأنوار, أَبُوعَبْدِ الله مُحَمَّد بَاقِر بِن مُحَمَّد تَقِي بِن مَقْصُودْ عَلِي المَجْلِسِي الأَصْفَهَانِي (ت١١١١هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان, (د.ط), ١٩٨٣.

٦- تاج العروس, محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني ابو الفياض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٠٢٥هـ), تح: عبد الستار أحمد فرّاج وآخرون, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت, ط١, من ١٩٦٥ إلى ٢٠٠١م.

٧- التراكيب اللغوية في العربية, هادي نهر, مطبعة الارشاد, (د.ط), ١٩٨٧.

٨- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن الكريم, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١ هـ), تحقيق: هشام سمير البخاري, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية, د.ط, ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣ م.

٩- تفسير مجمع البيان, أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي , دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع, ط١, ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥.

١٠- الخصائص, أبو الفتح عثمان بن جني, تحقيق: محمد علي النجار, دار الكتب المصرية, (د ط), (د.ت) .

١١- الخلاصة النحوية, الدكتور حسان, عالم الكتب, ط ١, ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٢- ديوان الشبيبي, محمد رضا الشبيبي, جمعية الرابطة العلمية الأدبية, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة, ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
١٣- شرح قطر الندى و بل الصدى, عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ), تح: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, ط١١, ١٣٨٣هـ.
١٤- شرح نهج البلاغة, أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ), تح: محمد عبد الكريم النمري, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٥- كتاب الخصال, أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بأبويه القمي الصدوق (ت٣٨١ هـ), تحقيق: علي أكبر الغفاري, مؤسسة النشر الإسلامي – قم المقدسة, (د.ط), (د.ت).
١٦- الكتاب, عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ), تحقيق وشرح: عبد السلام هارون, مكتبة الخانجي - القاهرة, ط٣, ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٧- اللغة العربية مبناها ومعناها, تمام حسان, دار الثقافة – الدار البيضاء, المغرب, (د.ط), ١٩٩٤.
١٨- مدخل الى علم الجمال الادبي, عبد المنعم تليمه, دار الثقافة للطباعة والنشر, القاهرة, (د.ط), ١٩٧٨.
١٩- المرتجل, ابن الخشاب, تح: علي حيدر, دمشق, (د.ط),١٣٩٢هـ - ١٩٧٢.
٢٠- معاني النحو, فاضل السامرائي, دار الفكر – الاردن, ط١, ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢١- معجم المصطلحات النحوية والصرفية, محمد سمير نجيب اللبدي, دار الفرقان, بيروت- لبنان, ط١١, ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٢- المفردات في غريب القرآن, أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ), تح: صفوان عدنان الداودي, دار القلم، الدار الشامية, دمشق- بيروت, ط١, ١٤١٢ هـ
٢٣- المقتضب, أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ), تح: محمد عبد الخالق عضيمة, ط٣, ١٩٩٤.

٢٤- الميزان في تفسير القرآن, العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي, منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة, (د.ط), (د.ت).
٢٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ), تح: أحمد شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان, ط١, ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.